

أحق للمبدع أن يكون صورة من هذا التناقض الحاصل في مجتمعنا؟ ومن جهة أخرى ألم يكن هذا المبدع ضحية من ضحايا اتجاه فني في الكتابة الإبداعية؟

لقد أراد السايح أن يكتب نصاً مميزاً، إما أن يكون به أو لا يكون، نصاً يستطيع أن يتجاوز أعماله السابقة من حيث تقنية الكتابة، نص يحتفل باللغة، نص للغة، ونص للغة، ونص من اللغة.

إن ذلك "الحنين" تجربة سردية مارسها السايح بحب وألم وعنف، وهو نص صعب المراس يتحدى القارئ ويهاجمه منذ العنوان بلغة سردية كونت لنفسها جمالية خاصة لا تلتين ولا تقدم نفسها في سهولة ويسر.

ثم لمَ كان الحنين؟ أهو حنين إلى ماض تولى؟ أو هو حنين إلى حنين آخر؟ هل هو حسرة وألم؟ أو تشفي وانتقام؟ وهل مثل هذا النص لحظة ووعي عند هذا المبدع؟ أو أن السرد هو الذي تحكم في بنية النص؟

يبدو أن السائح الحبيب يجمع بين الكتابة الواعية واللحظة اللاواعية للإبداع ويسعى في مشروعه هذا إلى تقديم رؤية للواقع من حوله، ومع ذلك يبقى السؤال مطروحاً، فهل بقي هذا الروائي وفياً لتلك القدرة الإبداعية التي عرف بها؟ وهل تجاوز أعماله السابقة؟ وإلى أي حد استفاد إيجاباً أو سلباً من صدامية زمن النمرود؟

أعتقد، جازماً، أن "ذاك الحنين" تجربة فنية مميزة استطاع الروائي أن يتجدد فنياً فيها عبر الاستمرارية في الكتابة، ومن خلال الاستفادة من تقنيات الرواية الجديدة، وفي الوقت نفسه نلمس حنيناً إلى تجاربه السابقة، واستثماراً فنياً لها، وتوظيفاً لجماليات لغوية تنهل من حقل دلالي مؤسس على المتناقضات، ويجمع بين شعرية اللغة، وتقنية الخطاب السردية.

إن هذا النص استطاع، إلى حد كبير، تأسيس جمالية سردية قد يكون السائح متميزاً فيها، حيث يتزاوج الفصيح والعامي والدارج في خطاب يعطي دلالات إيحائية للنص. إنه التوالد والإخصاب اللغوي، إنه ينتج نصاً يحمل خصوصية فنية تعود إليه. فهل النص هو السائح؟ أو أن السائح هو النص؟

إن نص "ذاك الحنين" بناء سردي يستحضر جواً أسطورياً، وخرافياً ممزوجاً بواقعية مقرزة، أعطى للمبدع طواعية وحرية أكثر في رسم هذا البناء السردية.